https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

دور زراعة الكيف في الدينامية السوسيو ـ مجالية وتدهور الموارد الطبيعية بالريف الأوسط الجنوبي " جماعة اخلالفة أنموذجا"

د. هيني محمد
دكتور في الجغرافية البشرية
الكلية متعددة التخصصات تازة– المغرب
mohammed.hini@usmba.ac.ma

د. الرفيق محمد
دكتور في الجغرافية الطبيعية
الكلية متعددة التخصصات تازة– المغرب
mohammed.errafik1@usmba.ac.ma

تاريخ الاستلام 2025/03/22 تاريخ القبول 2025/04/10 تاريخ النشر 2025/07/01

الملخص:

تعتبر زراعة الكيف إحدى أهم الأنشطة الزراعية بالريف الأوسط، حيث يعود ظهورها إلى القرن 11م. ظهرت بتراب إقليم تاونات منذ تسعينيات القرن الماضي. وتعتبر الجماعة الترابية اخلالفة من بين أولى الجماعات التي مارست هذه الزراعة في الإقليم بحكم قربها الجغرافي من مناطقه التاريخية، وقد أسهمت عوامل متعددة في ظهورها وانتشارها؛ من بينها الهشاشة السوسيو اقتصادية، ومحدودية التدخلات الرسمية، وضعف أداء الاقتصاد الفلاحي وعدم قدرته على تلبية الحاجيات الأساسية، وقيمتها الريعية ومردوديتها المرتفعة خصوصا بعد دخول الأصناف الهجينة (خردالة، تريتيكا)، فغيرت من معالم المشهد الزراعي وأحدثت دينامية سوسيو – اقتصادي كبرى، كما كان لها أكبر الوقع على المشد البيئي.

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، تتمثل في: توسع مساحة زراعة القنب الهندي على حساب مساحة الحبوب والقطاني، وتراجع الاهتمام بتربية الماشية، وتعرض الموارد الطبيعية المحلية لتدهور كبير، أما اجتماعيا فقد تفككت العادات القروية المرتبطة بالعمل الجماعي والتضامني، وتزايد حدة الصراعات حول الأرض والماء.

الكلمات المفتاحية: القنب الهندي؛ الموارد الطبيعية؛ الدينامية؛ التدهور؛ جماعة اخلالفة.

© Journal of Libya for Geographical Studies, Sirte University 2025

Vol. 5, Issue.2, July 2025 *Journal of Libya for Geographical Studies*
Online ISSN : 2789-4843 print ISSN : 3080-0463
المجلد 5 العدد 2 / يوليو 2025م **مجلة ليبيا للدراسات الجغرافية**

The Role of Cannabis Cultivation in Socio-Spatial Dynamics and the Degradation of Natural Resources in the South-Central Rif: Ikhlalfa Commune as a Case Study

Hini Mohammed
Doctor of Physical Geography
Multidisciplinary Faculty, Taza
mohammed.hini@usmba.ac.ma

Errafik Mohammed
Doctor of Human Geography
Multidisciplinary Faculty, Taza
mohammed.errafik1@usmba.ac.ma

Abstract:

Cannabis cultivation is one of the most prominent agricultural activities in the Central Rif region, with its origins dating back to the 11th century. It emerged in the territory of the Taounate Province during the 1990s. The rural commune of Ikhlalfa is considered one of the first areas in the province to adopt this cultivation, due to its geographical proximity to the historical cannabis-producing regions. Several factors contributed to the emergence and expansion of this activity, including socio-economic vulnerability, limited official intervention, the weak performance of the agricultural economy and its inability to meet basic needs, as well as the high profitability and returns of cannabis—particularly after the introduction of hybrid strains (such as Khardala and Tritika). These factors transformed the agricultural landscape and triggered significant socio-economic dynamics, while having a major impact on the environmental landscape.The study reached several findings, notably the expansion of cannabis cultivation at the expense of cereals and legumes, a decline in livestock farming, and severe degradation of local natural resources. Socially, traditional rural customs associated with collective and cooperative work have disintegrated, and conflicts over land and water have intensified.

Keywords: Cannabis; Natural Resources; Dynamics; Degradation; Ikhlalfa Commune.

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

مقدمة:

تعتمد جماعة اخلالفة كغيرها من المجالات الريفية الجبلية في اقتصادها على الفلاحة، والتي ترتكز على الثلاثية التقليدية (المغروسات الشجرية المثمرة، زراعة الحبوب، تربية الماشية)، لكن التحولات المتسارعة التي شهدتها المنطقة ضمن المجال الريفي، والهشاشة السوسيواقتصادية، والقرب الجغرافي من المناطق التاريخية لبلاد الكيف، ساهم في ظهور وانتشار زراعة القنب الهندي، ابتداءً من نهاية تسعينيات القرن الماضي ببعض دواوير الجماعة (علاوة وتاونات القشور)، إلى أن أصبح أحد المزروعات المهمة في الجماعة بأكملها. إذ وجد الكيف بالمنطقة مجالاً ملائمًا من حيث الظروف الطبيعية، وقابلية السكان لممارسته، وهكذا اكتسى أهمية بالغة في المنظومة الفلاحية وأصبح المعول عليه لزيادة وتنويع مدخول الفلاحين، بالنظر لارتفاع مردوديته وقيمته الاقتصادي.

لكن رغم إيجابيات زراعة القنب الهندي في الرفع من مدخول المتعاطين لهذا النشاط زراعة وتجارة، فإنها أسهمت في إحداث دينامية سوسيواقتصادية سلبية، وفي تحول نمط الاستغلال الفلاحي من نظام متكامل يجمع بين الزراعة وتربية الماشية والأشجار المثمرة إلى نظام الزراعة الأحادية التي تهيمن عليه هذه الزراعة الدخيلة، كما كان لها وقع بيئي واضح من خلال تقليص مساحة المجال الغابوي، واستنزاف الموارد المائية، والمساهمة في تراجع خصوبة التربة والتسريع من حدة تدهورها.

أولاً: تقديم مجال الدراسة:

تقع جماعة اخلالفة جغرافيا بين خطي عرض"34°37'20 و"34°43'35 شمال خط الاستواء، وخطي طول"34'30 °4 و'42 °4غرب خط كرنيش، وإداريًا تنتمي إلى إقليم تاونات شمال المغرب، تحدها شمالاً جماعتي عبد الغاية السواحل وتاغزوت، وجنوبًا جماعة الزريزر، وشرقًا جماعة بوهودة، وغربًا جماعة تمزكانة، وتمتد على مساحة تقدر ب 82 كلم^2. (الشكل 1)

تتناسب جغرافيا والجبال المنخفضة للريف الأوسط الجنوبي، وتتميز بتضاريس جبلية شديدة التقطع بسبب كثافة الشبكة المائية، والطبيعة الليتولوجية الهشة. من الناحية الجيولوجية

تنتمي إلى الريف الأوسط الخارجي، الذي ارتبط تشكيله بتطورات سلسلة جبال الألب خلال الزمن الثالث (الفلاح، 2000، ص95).

الشكل (1): توطين جماعة اخلالفة وطنيا وجهويا وإقليميا.

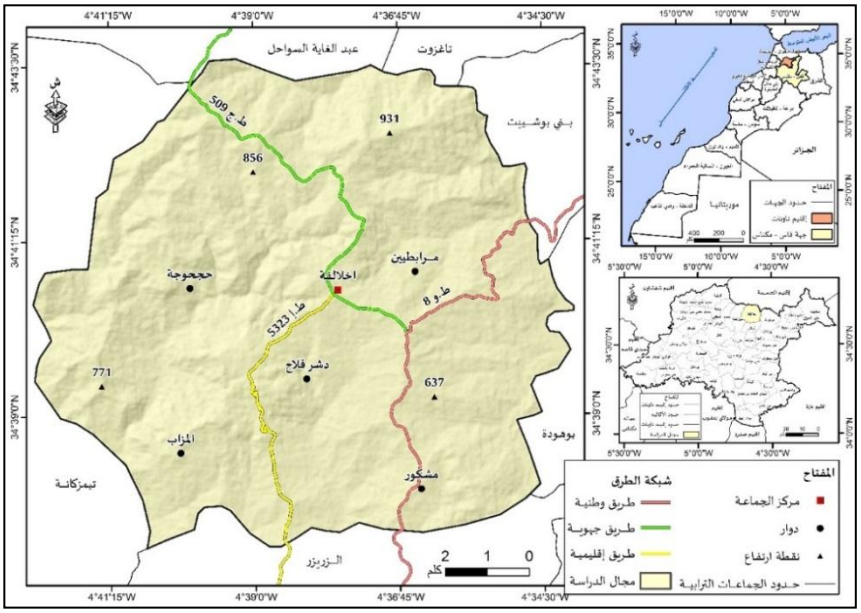

المصدر: خريطة التقسيم الجهوي، 2015.

من الناحية البنيوية توجد ضمن وحدة كتامة (MAURER, 1986, P44). أما مناخيا تتلقى كمية تساقطات مهمة تتراوح بين 800 ملم و1000 ملم وأحيانا تتجاوز 1200 ملم بأقصى الشمال الغربي.

ديمغرافيًا تصل ساكنة الجماعة حسب إحصاء 2024 إلى 14340 نسمة، وتتميز بكثافة سكانية مرتفعة تقدر ب 132 ن/كلم^2، وبنمو ديمغرافي بطيء سجل 1,26%. (المندوبية السامية للتخطيط،2024)

ثانياً: الإشكالية والأهداف والفرضيات:

1. إشكالية الدراسة:

تعتبر الفلاحة النشاط الأساسي لساكنة المجال، لكن عجزها عن تحقيق حاجياتهم في ظل نمط استغلال تقليدي، وتوالي سنوات الجفاف، أدخلت زراعة القنب الهندي إلى

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

الجماعة، فساهمت في إحداث دينامية سوسيو مجالية واقتصادية واضحة، كما كان لها وقع كبير على الموارد الطبيعية.

وبناءً عليه نطرح السؤال الإشكالي الآتي: ما دور زراعة الكيف في الدينامية السوسيو–مجالية وفي تدهور الموارد الطبيعية بجماعة اخلالفة؟

2.فرضيات الدراسة:

انطلاقًا من العمل الميداني الذي قمنا به، واطلاعنا على الوثائق والمعطيات التي حصلنا عليها من المصالح الإدارية والدراسات البيبليوغرافية، صغنا مجموعة من الفرضيات التي ستوجه الدراسة، وهي كالآتي:

– فشل التدخلات الرسمية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعي بالمجال، أسهم في تشجيع الساكنة على زراعة الكيف.

– تشكل المردودية والمداخيل المرتفعة لزراعة القنب الهندي، حافزًا قويًا لممارسة الساكنة لهذه الزراعة.

– تسهم زراعة القنب الهندي في إحداث تحولات سوسيو– مجالية، وتدهور كبير للموارد الطبيعية.

3.أهمية الدراسة:

تكمن أولًا في كونها تتناول موضوع زراعة القنب الهندي في مجال كانت فيه لوقت قريب من المزروعات الممنوعة، ومع المصادقة على تقنين زراعته ستصبح إحدى المزروعات التي ستراهن عليها الساكنة كمصدر دخل إضافي، والدولة كأحد البدائل التنموية بالمنطقة، خاصة بعد تبوث أهمية القنب الهندي في الاستعمالات الطبية والعطرية والصناعية، وثانيًا التنبيه إلى المخاطر التي سترافق زراعته على المجال والمجتمع.

4.أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة بشكل عام تحقيق الأهداف الآتية:

– الكشف عن التحولات السوسيو– مجالية والاقتصادية المرتبطة بزراعة القنب الهندي.

– تحديد المحفزات التي تجعل الساكنة المحلية تمارس هذه الزراعة وتتشبث بها على حساب باقي الأنماط الأخرى.

– التنبيه إلى المخاطر التي تحدثها هذه الزراعة على الوسط البيئي.

ثالثاً: المنهجية والأدوات المعتمدة في الدراسة:

1. منهجية الدراسة:

تتعدد المناهج المعتمدة في الدراسات الجغرافية باختلاف الظواهر المدروسة، وبناءً على ذلك فطبيعة موضوعنا فرضت علينا الاعتماد على المنهجين الوصفي التحليلي والمقارن؛ الأول لوصف الانتشار المجالي لزراعة القنب الهندي بالجماعة، وتفسير العوامل المتحكمة في ذلك، والثاني لتوضيح التحولات السوسيو مجالية والاقتصادية والبيئية قبل وبعد ظهور هذه الزراعة.

2. أدوات الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على الأدوات الآتية:

- الدراسات البيبليوغرافية: الاطلاع على مجموعة من الدراسات والأبحاث الجامعية والتقارير الإدارية التي لها صلة بالموضوع والمجال.
- البحث الميداني: من خلال استطلاع رأي الساكنة المحلية، حول الانعكاسات السوسيو اقتصادية والبيئية، اعتمادا على استمارة ميدانية شملت عينة مكونة من 150 أسرة.
- العمل الإحصائي والخرائطي: توظيف برنامج SPSS في تفريغ الاستمارة وتحويل معطياتها إلى جداول، وبرنامج **ARCGIS** لإنجاز العمل الكرطوغرافي....

رابعاً: زراعة القنب الهندي: التاريخ والمجال:

1. نبذة مختصرة عن تاريخية زراعة القنب الهندي بالمغرب

تعود البدايات الأولى لزراعة القنب الهندي إلى 2000 سنة قبل الميلاد، عندما انتبه الصينيون إلى الفائدة الغذائية لحبة الكيف، فبدأوا باستخدامها في تحضير وجباتهم الغذائية، ثم تطور استعماله إلى صناعة النسيج (الخيط)، والأسلحة (قوس الرماية)، والورق والأدوية، وبعد ذلك انتقلت النبتة إلى شبه الجزيرة الهندية وآسيا الوسطى، ومنها عبر مع المغول إلى سوريا والعراق، ثم مصر وصولاً إلى المغرب (الدمدرداش، 1982، ص137).

إذا كانت الدراسات تتفق على أصل زراعة القنب الهندي في العالم، فإنها تختلف حول تاريخ دخولها إلى المغرب، والجهة التي قدمت منها، فالبعض يرى أنها دخلت في القرن 11م، والبعض يربط فترة دخولها بالقرن 15م، والبعض الآخر يذهب إلى أن السلطان أحمد المنصور هو الذي أدخلها إلى المغرب من بلاد السودان خلال القرن 16م، لاستخدامها في

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

الأغراض الطبية (NACIRI ,1992, p108)، ويزعم موريير أنها دخلت إلى المغرب خلال القرن 17م (MAURER, 1986, P,55)، فيما ذهب حسن بن الوزان إلى ظهورها في القرن 18م (مجلة معلمة المغرب، 2004، ص64)، وفي نهاية القرن 19م أفاد الرحالة الفرنسي "أوغوست موليراس" أثناء زيارته للمنطقة أن القنب الهندي كانت تتم زراعته ولو بشكل محدود في قبيلة بني خالد، وأن السلطان الحسن الأول (1837-1894) سمح بزراعته في خمسة دواوير في كتامة وبني خالد وبني سدات ببلاد صنهاجة (MOULIERAS, 1899 , p9) " **كان القرويون يزرعون هذه المساحات الصغيرة بالفول والعدس والحمص والشنتية وقليل من الحبوب للاستهلاك الذاتي على الخصوص...كما أنهم يقومون بزراعة الكيف**".

وبعد فرض الحماية على المغرب في مطلع القرن 20م، وتقسيم البلاد إلى منطقتي نفوذ: الأولى في الوسط تحت الحماية الفرنسية، والثانية في الشمال تحت الوصاية الاسبانية، سمحت هذه الأخيرة لبعض القبائل الاستمرار بزراعته، كما رفضت التوقيع على ظهير 1932، وهذا ما جعل فلاحي الشمال يزرعونه بدون عراقيل، فضلاً عن تعاقد شركة إسبانية مع فلاحي هذه المناطق لشراء جزء من المحصول "الكيف والطابا".

وبعد حصول المغرب على الاستقلال سوف تعرف زراعة الكيف انتشار واسعًا وسريعًا، ارتباطًا بالأحداث والوقائع التي شهدتها المنطقة سنة 1958م، بشكل جعل الدولة تقبل بزراعتها، وتعتبرها جزءًا من اقتصاد غير نظامي يوفر لساكنة جبال الريف أسباب الحد الأدنى من العيش، وكذلك ارتباطا بعوامل خارجية لها علاقة بتزايد الطلب من الأسواق الخارجية. ومع توالي سنوات الجفاف التي اتخذت طابعا بنيويا، تغاضت الدولة مؤقتًا عن زراعة الكيف (بودواح، 2001، ص265)، فانتشرت بمناطق جديدة، حتى بلغت المساحة المزروعة إلى 134000 هـ سنة 2003 م بستة أقاليم بالشمال (الشكل رقم 2) وبنسب متفاوتة (تقرير الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة، 2003، ص9) شفشاون بنسبة 50%، وتاونات بنسبة 19%، والحسيمة بنسبة 17%، والعرائش بنسبة 9 % وتطوان بنسبة 7%.

الشكل (2): تطور المساحة المزروعة بالقنب الهندي بالمغرب ما بين **1960** و**2005**م.

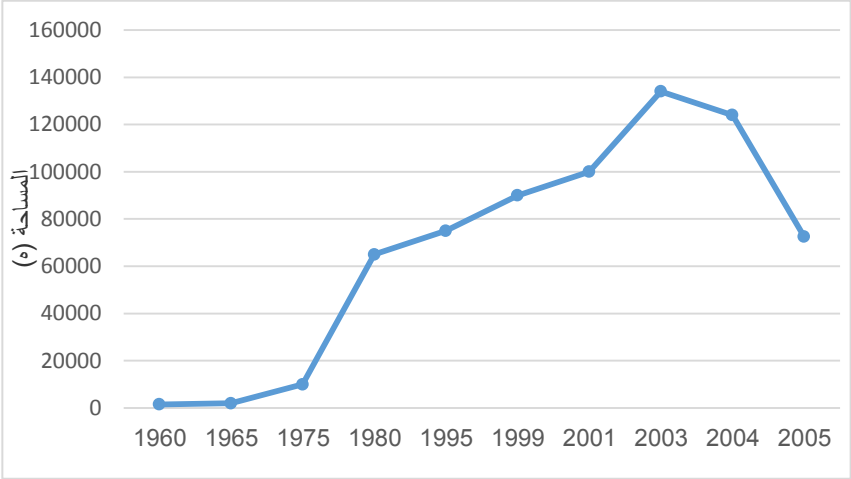

المصدر:ONUDC (2005) بتصرف.

وبعد الخطوة التاريخية التي اتخذتها الدولة المغربية سنة 2021، بالشروع في تقنين هذه الزراعة، سجلت المساحة المزروعة بالقنب الهندي سنة 2022 تراجعًا واضحًا، حيث وصلت إلى 50000 هكتارًا، ليستمر هذا التراجع إلى 29600 هكتارًا سنة 2024. (وزارة الداخلية المغربية، 2025)، إضافة إلى عامل آخر أسهم في هذا التراجع المساحي، والمتمثل في انخفاض ثمن وكميات المنتوجات المبيعة في السوق الأوربية، نتيجة التحول الذي شهدته هذه الدول خلال السنوات الأخيرة والمتمثلة في تقنين القنب الهندي للاستعمال الطبي والترفيهي، حيث نجد عدة دول توفر أماكن مشروعة لمدخني الكيف (فرنسا، هولاندا، بلجيكا....) وهذا انعكس سلبا على سوق التصدير غير المشروع للقنب الهندي، والتي تعتبر العامل الأساسي المشجع على هذه الزراعة.

2. الانتشار المجالي لزراعة القنب الهندي بجماعة اخلالفة:

يبدو الحديث عن زراعة القنب الهندي بإقليم تاونات بشكل عام، وجماعة اخلالفة بشكل خاص، حديثًا نسبيًا مقارنة مع باقي أقاليم الشمال كالحسيمة وشفشاون، فالمجال ومنذ القدم كان يعتمد على اقتصاد فلاحي قائم على المغروسات الشجرية والزراعات السنوية وتربية الماشية، وقد كان موليراس شاهدًا على ممارسة الفلاحين المحليين لهذه الأنشطة بقوله "**يزرعون الحبوب والقمح والشعير والقطاني....بالإضافة إلى الخضروات**"

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

ويضيف "**كانوا يتوفرون على مهارة عالية في الغراسة**" وفي ظل عجز هذه الأنشطة عن تلبية حاجيات السكان المتزايدة، ارتباطا بتوالي سنوات الجفاف، والاعتماد على نمط الاستغلال التقليدي، وفقر التربة، وضعف استفادة المنطقة من البرامج التنموية، ومجاورة المجال للمناطق التاريخية لزراعة الكيف، ستدحل هذه النبتة إلى تراب الجماعة سنة 1998، ويعتبر دواري تاونات القشور وعلاوة المجاورين لجماعة عبد الغابة السواحل، الأوائل في زراعة الكيف، لتنتشر بعد ذلك وفي وقت وجيز في باقي دواوير الجماعة.(الشكل رقم 3).

الشكل رقم 3: الانتشار المجالي لزراعة القنب الهندي بجماعة اخلالفة.

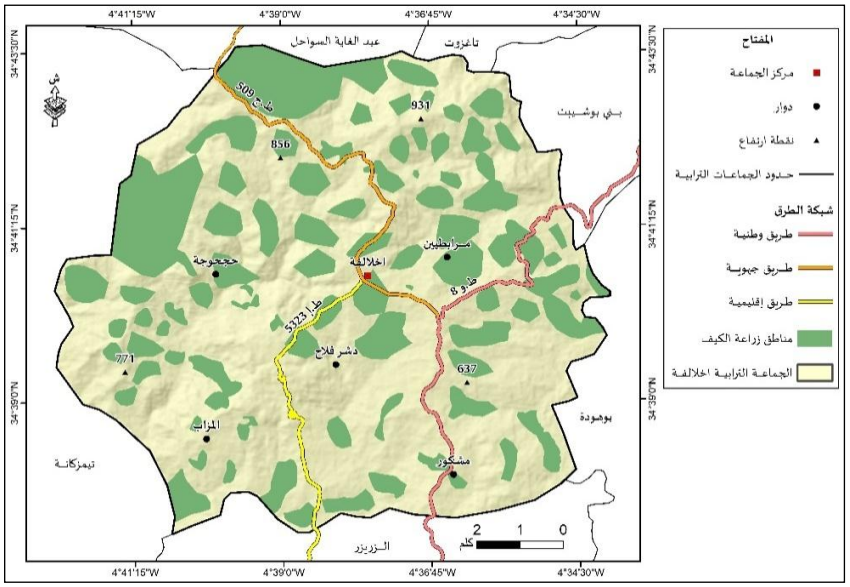

المصدر: إنجاز شخصي بالاعتماد على العمل الميداني وصور الأقمار الصناعي لاندسات،2024م.

هذا الامتداد الواسع والسريع لزراعة القنب الهندي، يمكن تفسيره بالأهمية الريعية التي يوفرها الكيف بشكل جعل من الساكنة والفلاحين عموما ينجذبون ويتهافتون وراء زراعته وتوسيع مساحته، فالعائدات التي يجنيها الفلاحون على إثر تعاطيهم لهذا النوع من الزراعة باستطاعتها تعويض النقص الحاصل على مستوى الزراعات الأخرى من جهة، كما باستطاعتها تغطية التكاليف السنوية والحاجات المعيشية للفلاح، ومن خلال استجوابنا لبعض المزارعين للكيف فقد صرحوا أن هكتارًا واحدًا من الكيف في بداية العقد الثاني من القرن الحالي، كان يدر ما بين50000و 90000درهمًا، وثمن الكيلوغرام من الكيف الخام

يتراوح بين 450 و800 درهماً، أما ثمن الكيف المصنع "الشيرا"، فيتراوح بين 6000 و7000 درهمًا للكيلوغرام، مقابل مردود الهكتار الواحد من الحبوب أو القطاني الذي يقل أكثر من 10 مرات عن مردود الكيف.

خامساً: الدينامية السوسيو– مجالية والاقتصادية لزراعة الكيف بجماعة اخلالفة:

أسهمت زراعة الكيف في إحداث تحولات اقتصادية كبيرة، تمثلت في الرفع من مداخيل الفلاحيين وتحسين مستوى معيشتهم، بالمقابل أثرت سلبًا على البنية القبلية والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وتراجعت قيم التضامن وتلاشيت الأعراف لصالح القيم الفردانية، كما غيرت نمط الاستغلال الفلاحي من نظام متكامل إلى نظام الزراعة الأحادية تهيمن عليه هذه الزراعة الدخيلة.

1. التأثيرات الاجتماعية لزراعة الكيف بجماعة اخلالفة:

أ – ظهور أشكال جديدة من النزاعات المرتبطة بزراعة الكيف:

تعددت الانعكاسات الاجتماعية لزراعة الكيف بمجال الدراسة، حيث ظهرت نزاعات جديدة ارتبطت بالصراع حول المشارات الغابوية المجتثة، وتقسيم مياه السقي، وحدود الاستغلاليات. (جدول 1).

جدول (1): أشكال النزاعات بين السكان الممارسة لزراعة الكيف بجماعة اخلالفة.

أنواع النزاعات	حدود الاستغلالية	حول الإرث	حول الماء	تقسيم أراضي الغابة	المجموع
العدد	25	27	41	57	150
النسبة المئوية	16,6	18	27,3	38	100

المصدر: بحث ميداني، 2023م.

تظهر معطيات الجدول (1) ارتفاع نسبة النزاعات حول تقسيم الأراضي الغابوية المجتثة بنسبة 38 **%**، تليها الصراع حول مياه السقي ب27,3 % خاصة بعد ظهور الأصناف الهجينة " خردالة، تريتيكا "التي تتطلب كميات مهمة من مياه السقي. وتأتي النزاعات حول الإرث وحدود الاستغلاليات تواليا بنسبة 18**%** و16,6**%** خاصة بين الأقارب المهاجرين الذين عادوا للمطالبة بأرضيهم التي تركوها لأفراد عائلاتهم. وقد ترتب عن

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

حدة هذه النزاعات تراجع دور (اجماعة الدوار) أو الشريف في حل القضايا التي تطرح عليه، بل أصبح أفراد "الدوار" يمارسون أحيانا الترهيب على أحد أفراده أمام صمت" الجماعة التقليدية"(العبادي ،2009، ص. 105)، وبذلك أصبحت المحاكم قبلة لعدد كبير من الدعاوي القضائية.

ب – تحول واضح في النسيج والوضع الاجتماعي بالمجال:

إنَّ الدارس للمجالات القروية بالريف الأوسط الجنوبي، يلاحظ التحولات الاجتماعية التي طبعت المجال بين الماضي والحاضر، فإذا كان معيار الغنى الاجتماعي في الماضي يقاس بما تمتلكه الأسرة من قطيع ماشية، ومساحة أرضية، فبدخول القنب الهندي إلى المجال تغيرت المحددات، والوضع الاجتماعي وظهرت أسر جديدة اغتنت من زراعة الكيف والسمسرة فيه، وأضحت تمتلك بنايات عصرية بالقرية والمدينة فضلا عن عقارات، وأنشطة مدرة للدخل (مقاهي، مطاعم ...) بالمدن، (جدول2) مع الإغراق في ثقافة الاستهلاك والكماليات.

جدول (2): مظاهر التحولات الاجتماعية بالجماعة.

	قبل زراعة الكيف	بعد زارعة الكيف
تجهيزات منزلية عصرية	35	95
منزل عصري	27	83
سيارة	19	78
عقار بالمدن	6	55

المصدر: بحث ميداني، 2023م.

2. تغير واضح في المشهد الزراعي:

إنَّ الباحث في الاقتصاد المحلي لجماعة اخلالفة قبل زراعة الكيف يدرك التكامل الذي طغى على المشهد الفلاحي بين الزراعات السنوية (الحبوب، القطاني) التي كانت تغطي حوالي 17,5 % من المساحة الصالحة للزراعة أي حوالي (1799هـ)، والأشجار المثمرة (الزيتون، التين، العنب، اللوز...) التي كانت تمتد على 28,7 % أي حوالي (3011هـ)، والانتشار المهم لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة المختلطة على مساحة تقدر ب 30,8 % أي حوالي (3213هـ). (Plan d'aménagement anti-érosif du bassin versant de l'oued Ouerrgha,1994). لكن بعد الانتشار الواسع لزارعة القنب

الهندي تغيير المشهد الزراعي (الشكلان رقم 4 و5) حيث زحفت هذه الزراعة على حساب المجال الغابوي في كل من غابة رأس الصف و سيدي صالح وكدية لحسن وتاونات لقشور، وانتقلت لتنافس الزراعة التقليدية إذ توسعت على حساب مجال ممارسة زراعة الحبوب والقطاني والمغروسات الشجرية وأصبحت تمتد على 31,91% من المساحة الصالحة للزراعة، وتراجعت المساحة المخصصة للحبوب والقطاني إلى 9,75%، كما اختفت المراعي وتلاشى معها نظام الرعي الجماعي وتراجع حجم القطيع حيث لم يعد يتعدى متوسط حجم القطيع 0,9 رأس لكل أسرة بالنسبة للبقر، و1,01 بالنسبة للغنم (هيني، 2024، ص174) بعدما كان يتعدى 1,26 رأس بالنسبة للبقر، و2,3 رأس بالنسبة للغنم، حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996.

الشكل (4): استعمال التربة قبل زراعة القنب الهندي بجماعة اخلالفة.

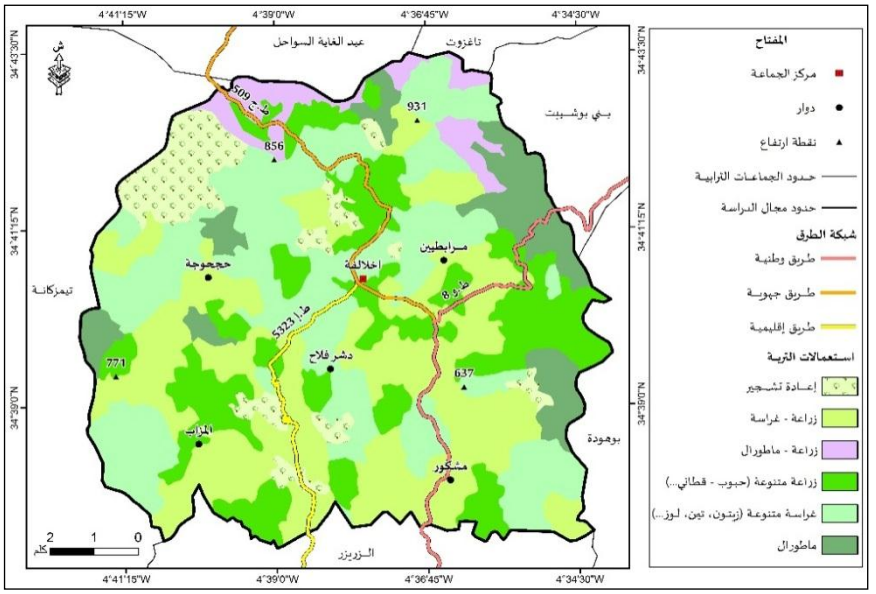

المصدر: إنجاز شخصي اعتمادًا على تصميم التهيئة المضاد للتعرية بحوض ورغة، 1994م.

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

الشكل (5): استعمال التربة بعد زراعة القنب الهندي بجماعة اخلالفة.

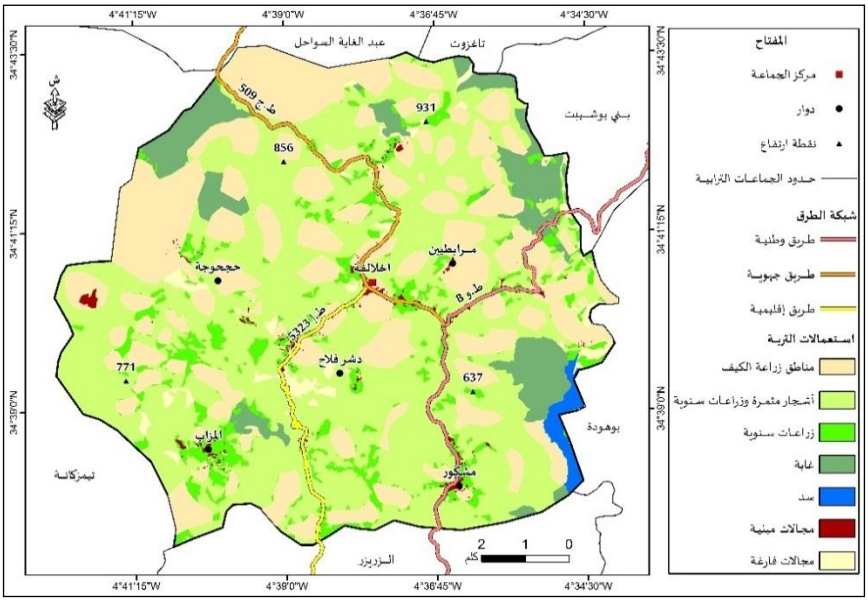

المصدر: إنجاز شخصي بالاعتماد على العمل الميداني وصور الأقمار الصناعي لاندسات،2024م.

3. الدينامية الاقتصادية لزراعة الكيف بجماعة اخلالفة:

أصبحت زراعة الكيف بجماعة اخلالفة بديلاً اقتصاديًا مهمًا، حيث أسهمت في تحسين الأوضاع الاقتصادية للساكنة المحلية التي كانت تعيش أزمة خانقة مرتبطة بضعف الإنتاج الفلاحي.

أ – ارتفاع حصة عائدات الكيف في دخل الفلاح:

كان الفلاح بمجال الدراسة يعتمد على مصادر دخل متنوعة، تتشكل من الزراعة المعيشية والأشجار المثمرة وتربية الماشية واستغلال الموارد الغابوية، إلا أن مداخيلها كانت ضعيفة لا تلبي حاجياته الأساسية. لكن هذا الدخل سوف يرتفع بشكل ملحوظ بفضل المداخيل التي وفرتها زراعة الكيف (جدول 3).

جدول (3): مقارنة مساهمة الكيف في دخل الأسرة بخلالفة
مع بعض الجماعات بالريف الأوسط الجنوبي

المنطقة	الكيف	الحبوب	المغروسات	تربية الماشية	أخرى
الخلالفة[1]	51	9	28	7	14
تاونات[2]	33	10	18	6	32
كتامة[2]	62	11	7	8	11

المصدر: 1- عمل ميداني 2023م. 2- تقرير الأمم المتحدة، 2003م.

نلاحظ من خلال الجدول (3)، أن الكيف أصبح يشكل المصدر الأساسي لدخل الأسر بالجماعة بنسبة 51%، متجاوزا المداخيل الفلاحية برمتها (الحبوب والغراسة وتربية الماشية) رغم حداثة ممارستها، كما أن حصته تبدو مرتفعة مقارنة مع باقي جماعات نطاق اجبالة تاونات (33 %)، ويكاد يقترب من النسبة المسجلة ببلاد كتامة (62 %) الموطن التاريخي لزراعته.

ب – مردودية الكيف ومداخيله عامل حاسم في انتشاره بجماعة اخلالفة

تعتبر المردودية الاقتصادية للكيف، عاملا أساسيا في تحول الفلاحين بالمجال من اقتصاد معيشي عائلي يعتمد على مداخيل الفلاحة، إلى اقتصاد ريعي يرتكز على الكيف الذي يدر عليهم ما بين 60 و100 ألف درهمًا في الهكتار (GROVEL ,1996, P .78)، مما جعل من هذه الزراعة محور اهتمام فلاحي المجال، بهدف الحصول على مردودية مرتفعة وأرباح طائلة. (جدول4)

جدول (4): مقارنة بين متوسط مدخول الكيف والحبوب في الهكتار بجماعة اخلالفة.

استعمالات التربة	الإنتاج بالقنطار	ثمن القنطار بدرهم	مردود الهكتار بدرهم
قنب هندي سقوي	ما بين 4 – 5	4000	16000- 12000
قنب هندي بوري	2 – 3	4500	14000 -9000
قنب هندي هجين	7,5 - 9	4000	36000-30000
حبوب	9 - 11	250 -200	2800 -1800

المصدر: البحث الميداني، 2023م.

يتبين من خلال الجدول (4) انخفاض مردودية الهكتار الواحد من الحبوب والذي لا يتعدى 3000 درهم/الهكتار، مقارنة بالكيف الذي يتراوح ما بين 9000 و36000

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

درهمًا حسب نوعه، وبذلك تفوق مداخيله عائدات الحبوب بأكثر من 5 أضعاف بالنسبة للكيف البوري، وتزيد عن 10 مرة بالنسبة للكيف الهجين، وتزداد قيمته الاقتصادية بعد تحويله إلى الشيرا، هذه العائدات المرتفعة هي التي دفعت الفلاحين إلى التخلي عن الزراعات المعيشية، وإهمال الأشجار المثمرة والرعي، واعتماد الكيف كزراعة وكمورد دخل أساسي. (بوهلال،2017، ص، 101)

ثامناً: زراعة الكيف عامل أساسي في تدهور الموارد الطبيعية

بالإضافة إلى الدينامية السوسيو– مجالية والاقتصادية التي أحدثتها زراعة القنب الهندي بالمجال، فهي تساهم بشكل كبير في تدهور الموارد الطبيعية، خاصة الغطاء الغابوي والتربة والموارد المائية.

1. التأثيرات السلبية لزراعة الكيف على التربة:

أ – على مستوى نفاذية التربة:

تسهم زراعة الكيف في تراجع نفاذية التربة بمجال الدراسة، فحسب الدراسة التي قام بها العمال محسن ما بين 2018 و2021 بحوض واد أسرى الذي يعد مجال دراستنا جزءًا منه، حيث أسفرت تجارب التقليد المطري تباين نفاذية التربة بين الأراضي المزروعة بالحبوب ذات القدرة العالية على النفاذية التي تراوحت بين 72.50 ملم/الساعة في فصل الخريف، و62.80 ملم/الساعة خلال فصل الصيف، بينما سجلت الأراضي المزروعة بالكيف نفاذية ضعيفة وصلت 31.50 ملم/الساعة في الصيف و37.76 ملم/الساعة في الخريف، مما يجعل هذه الأراضي أكثر قابلية للتعرية المائية (جدول 5).

جدول (5): متوسط حجم النفاذية (ملم/ساعة) حسب الفصول بواد أسرى في التربة.

استعمالات التربة	الخريف	الشتاء	الربيع	الصيف
أرض محروثة بالحبوب	72.50	52.67	58.54	62.80
أرض محروثة بالكيف	37.76	21.50	59.87	31.50

المصدر: العمال، 2021، ص198.

تطابق هذه النتائج ما جاء في دراسة (Roose E, Sabir M, 2004) التي أكدت على أن نسبة الشقوق والمسامات بالتربة المزروعة بالكيف تنخفض إلى 56 **%**، بينما تفوق 63.7 **%** بالتربة المزروعة بالحبوب والقطاني. كما أن سرعة تسرب المياه داخل التربة مرتفعة

بالمجال الغابوي حيث تفوق 63 ملم/الساعة، وضعيفة في التربة المزروعة بالقنب الهندي التي لا تتعدى 32.7 ملم/ الساعة. وهذا يؤكد على أن زراعة الكيف تلعب دورا سلبيا في تراجع حدة النفاذية بالتربة مما يعمل على الرفع من حدة السيلان واقتلاع الأتربة.

ب – على مستوى جودة التربة

أكدت نفس الدراسة (العمال، 2021) تراجع واضح للمادة العضوية في التربة بين المجال الغابوي الذي سجلت به التربة الضعيفة التطور 6.02 % وبالتربة الدكناء 13.64%، في حين تراجعت بالمشارات المجتثة المخصصة لزراعة الكيف على التوالي إلى 1.8 % و3.01 %. وبذلك تطابق نتائج دراسة (Roose E., Sabir M, 2004) بالريف الغربي التي أثبتت أن حصيلة الكربون في التربة عند حدود 30 سنتمتر، تتراجع بشكل واضح من 94 طن/الهكتار بالأراضي الغابوية، إلى 70 طنًا/الهكتار بالماطورال، وإلى 53 طنًا/الهكتار فقط بالنسبة للأراضي المزروعة بالكيف.

2. استنزاف الموارد المائية

تؤدي زراعة القنب الهندي إلى استنزاف قوي للموارد المائية، خاصة بعد إدخال أصناف جديدة"كخردالة، وتريتيكا، وباكستانة" والتي تتطلب كمية كبيرة من المياه، فسقي مساحة 100 مترًا^2 أي ما يعرف محليا بالحوض من نبتة خردالة يتطلب أكثر من 1000 لترًا في كل مرة، كما أن هذا النوع يحتاج الماء من مرة إلى مرتين في الأسبوع، فضلاً عن طول الفترة التي يستغرقها ليصل إلى النضج التي تقدر بحوالي ستة أشهر، وأن فترة السقي تتزامن مع فصل الصيف حيث الحرارة مرتفعة وطول فترة التشميس (صورة 1). وبسبب تزايد الحاجة إلى الماء عمل السكان على حفر عدد كبير من الآبار باستخدام الآلات الميكانيكية (الصوندا). (جدول 6)

جدول (6): عدد الآبار ببعض دواوير الجماعة.

الدوار	عدد الآبار		الدوار	عدد الآبار
تاونات القشور	87		هجهوجة	57
علاوة	75		زغريين	51
تاورطة	64		دشار الفلاح	50

المصدر: البحث الميداني، 2023م.

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

تبرز معطيات الجدول (6) حدة الحفر والتي وصلت بدوار تاونات القشور إلى 87 بئرًا، وإلى75 بدوار علاوة، و64 وبدوار تاورطة. فحسب تصريح أحد أفراد الأسر المستجوبة خلال موسم 2016-2017 والذي عرف تراجعا مهما للتساقطات المطرية، أنه عمل على حفر خمسة آبار للبحث عن الماء لسقي الكيف في مشارة لا تتعدى مساحتها 1000 مترًا، كما أن تعدد حفر الأثقاب المائية سنويا ساهم في انخفاض مستوى الفرشة الجوفية بشكل كبير حيث وصلت إلى أعماق قياسية فاقت 140 مترًا بعدما كانت تتراوح ما بين 10 إلى 25 مترًا قبل ممارسة هذه الزراعة، هده المؤشرات توضح مدى مساهمة الكيف في استنزاف الثروة المائية في وقت يشهد فيه المجال نقص حاد لهذه المادة الحيوية، خاصة في فصل الصيف ارتباطًا بتوالي سنوات الجفاف والطبيعة الصخرية غير الخازنة للمياه بالمنطقة.

3. زراعة الكيف عامل مباشر في تدهور المجال الغابوي

تتوفر جماعة اخلالفة على غطاء غابوي كثيف ومتنوع، يمتد على مساحة تقدر ب 1882 هـ (المديرية الإقليمية للمياه والغابات تاونات، 2024)، لكن الملاحظ في العقدين الأخيرين، مع ظهور وتنامي زراعة الكيف بدأت الغابة تتراجع بشكل كبير ومستمر، وإن كانت الأسباب المساهمة في هذا التقلص المساحي متعددة، فإن انتشار القنب الهندي يبقى أخطرها، وقد اعتبر (Grovel ,1996, p84) أن اجتثاث الغابات بالريف الأوسط والغربي من أجل القنب الهندي يمثل حوالي 90% من أسباب تراجع المساحة الغابوية.

الشكل (6): المساحة المجتثة وعدد مخالفات الاجتثاث بجماعة اخلالفة.

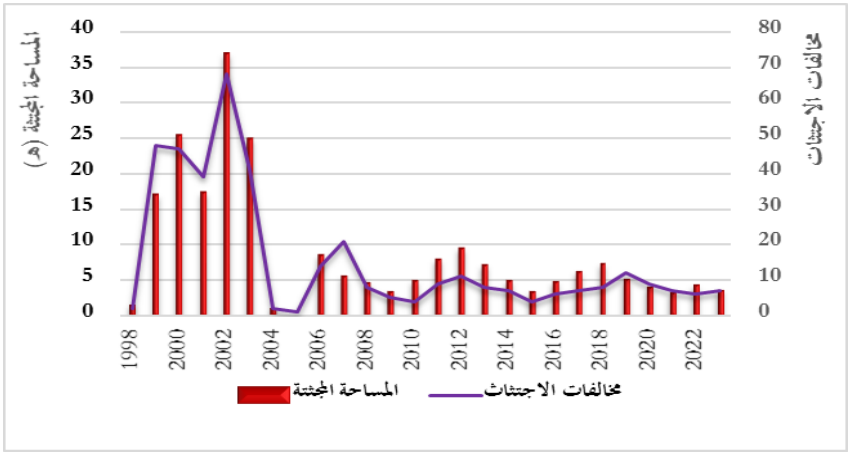

المصدر: المديرية الإقليمية للمياه والغابات تاونات، 2024م.

إنَّ ظاهرة إجتثات الغابة بالجماعة قديمة، كان المزارعون يمارسونها من أجل توسيع مساحة الأنشطة الفلاحية. غير أن وثيرتها وحدتها تزايدت بشكل كبير مع دخول وانتشار زراعة القنب الهندي، حيث أدت إلى تراجع 224,4 هكتارًا من المساحة الغابوية في ظرف 25 سنة، بمعدل سنوي يقدر ب9 هكتارات (الشكل 6).

بالإضافة إلى الاجتثاث تعتبر الحرائق عاملًا مباشرًا في تراجع المجال الغابوي (صورة 2)، حيث يتعمد المزارعون إضرام النار في الغابة لتوسيع مساحة زرعة الكيف، حيث سجل المجال بين سنة 2000 و2020 أكثر من 12حريقًا أسهم في إتلاف حوالي 200 هـ بمعدل 16,6 هـ سنويًا، وهو عدد كبير يفوق المعدل السنوي للمساحة المحروقة وطنيًا والتي لا تتجاوز10 هـ. (المديرية الإقليمية للمياه والغابات تاونات، 2024)

صورة 1: سقي القنب الهندي من نوع خردالة بتقنية الرش في فصل الصيف يساهم استنزاف قوي للموارد المائية السطحية و الباطنية.

المصدر: عدسة الباحث: 2023/08/15م.

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

صورة 2: حريق مفتعل من طرف أحد أفراد الساكنة المحلية في غابة سيدي صالح ساهم في إتلاف 15 هـ تمهيد للاستيلاء عليها و زراعتها بالقنب الهندي.

المصدر: عدسة الباحث: 2022/08/22م.

خاتمة:

ظلَّ اقتصاد بلاد جبالة تاونات ولعقود طويلة مرتبط بشكل عام بالقطاع الفلاحي، وفي ظل تزايد الحمولة البشرية، وضيق المجال الزراعي، ارتباطًا بالطابع المتضرس، وتوالي سنوات الجفاف والتهميش، ظهرت زراعة القنب الهندي وتنامت مساحتها ارتباطًا بقيمة ريعها الاقتصادية.

فانتشار هذه النبتة أحدث تحولات مهمة على المجال والمجتمع بالمنطقة، هذه التحولات توحي بخلل عميق في الحاضر والمستقبل، فعلى مستوى تدهور الموارد الطبيعية (الغابة، التربة، الموارد المائية) والاجتماعية تراجع أشكال التكافل الاجتماعي الذي ميز المجتمع الجبلي، والاقتصادية التي سترهن المنطقة على تبعيتها لمجالات أخرى في الحصول على المواد الاستهلاكية الأساسية وبالتالي سيفقد المجال إحدى خصوصياته الأساسية.

كما أن التفكير في تهيئة الموارد الطبيعية واقتصاد بديل، يقتضي تشخيص عميق، ومعرفة دقيقة لخصوصيات المجال وحاجيات السكان، وتجاوز التدبير المركزي والمقاربات القطاعية، وتبني مقاربة تشاركية مندمجة ومستدامة لتنمية هذا الحيز الترابي.

ومع المصادقة على مشروع تقنين زراعة الكيف، عبر مجموعة من المزارعين عن استعدادهم ورغبتهم الانخراط في هذا المشروع، شرط الغاء المتابعات القضائية لكل المزارعين المطلوبين للعدالة، باعتبار التقنين ارحم من المنع.

اقتراحات وتوصيات:

بناءً على النتائج المتوصل إليها، تقترح الدراسة مجموعة من التوصيات:

- تنويع الأنشطة الاقتصادية بدعم القطاع السياحي، والحرف التقليدية، وخلق وحدات صناعية عصرية لتثمين المنتوجات المحلية (الزيتون، التين، اللوز).
- فك العزلة عن المنطقة وتقوية البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية.
- الاستثمار في البحث العلمي المرتبط بنبتة الكيف للأغراض الطبية والصناعية، خاصة بعد أن أكدت الأبحاث الدولية فائدتها.
- خلق بدائل إنتاجية تتلاءم مع خصوصية المنطقة، وتشجيع دعم الفلاحين على إنشاء اسطبلات لتربية وتسمين المواشي.
- تحسين وتوعية الساكنة المحلية بخطورة هذه الزراعة على المجال والمجتمع.
- تجاوز التدبير المركزي والمقاربات القطاعية، وتبني مقاربة تشاركية تدمج كل الفاعلين والمتدخلين في التنمية الترابية.

https://doi.org/10.37375/jlgs.v5i2.3416

المصادر والمراجع:

- مجلة معلمة المغرب، (2004)، الكيف، عدد 20.

- الدمدرداش، عادل، (1982)، **الإدمان مظاهره وعلاجه**، مجلة عالم المعرفة عدد 56، الكويت.

- العبادي، محمد (2009): **زراعة الكيف بجماعة الخلالفة**، بحث لنيل الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس، المغرب.

- العمال، محسن (2021): **دينامية السفوح بالريف الأوسط :التقييم الكمي والنوعي للتعرية المائية وإشكالية التهيئة المجالية حالة: حوض واد أسرى**، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس، المغرب.

- الفلاح، بوشتى (2000): **حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها بالريف الأوسط**. أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، المغرب.

- بوهلال عبد السلام، (2017): **دينامية الاقتصاد القروي ببلاد الكيف**، مجلة تدغين للأبحاث الامازيغية والتنمية، العدد 6، المغرب.

- تقرير مكتب الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات والجريمة، (2003)، **حول القنب الهندي بالمغرب**.

- ضايض، حسن (2005): **المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط**. أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس، المغرب.

- هيني، محمد (2024): **الموارد الترابية والتنمية المحلية بالريف الأوسط الجنوبي: دائرة تاونات أنموذجا**، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله– فاس.

-بودواح، محمد، (2001): "**دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وآفاق التنمية في جبال الريف: نماذج من الريف الأوسط**" ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس–أكدال، الرباط، المغرب.

- **Plan d'aménagement anti-érosif du bassin versant de l'oued Ouerrgha en Amont du barrage Al Wahda**, 2ème phase, Analyse de la situation actuelle, rapport principal, Rabat, 272 pages, Maroc.

-*GROVEL, R. (1996): **La préservation des forêts du Rif Centro-occidental: un enjeu de développement de la montagne rifaine**, Revue de géographie alpine, n°4. pp. 75-94*, France.

-MAURER G, (1986), **Les paysans du haut rif central** ; R.G.M. N°14, Maroc.

-MOULIERAS A, (1899)، **le Maroc inconnu**, tom 1, p*222*, France.
-NACIRI (1992): **La montagne au Maroc diagnostic évolution et perspective de développement**, faculté des lettres et des sciences, rabat,108p, Maroc.
-*SABIR M, ROOSE E, (2004*): **Influence du couvert végétal et les sols sur le stock de carbone du sol et les risques d'érosion et de ruissellement dans les montagnes méditerranéennes du rif**, in bulletin réseau érosion n°23, Montpellier, France.